صاحب الجلالة يخاطب شعبه بمناسبة الذكرى السابعة للمسيرة الخضراء

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

شعبي العزيز

في سنة ألف وتسعمئة وخمس وسبعين وفي مثل هذا اليوم انطلقت مسيرتك ووطئت أرضاً من أراضيك، ووصلت الرحم مع أهلك واخوانك، وقبلت تراباً عزيزاً عليك.

وها نحن اليوم بعد سبع سنوات نحمد الله سبحانه وتعالى جميعاً على أن ألهمنا الى هذه المسيرة ووحد صفوفنا للقيام بها ومكن شعبنا شيباً وشباباًرجالا ونساء ليتابعوا مسيرتهم في صحرائهم، مسيرة دامية دفعنا فيها ثمناً غالياً، مسيرة للبناء مسيرة للتشييد مسيرة للتاريخ، مسيرة للأمجاد.

إننا شعبي العزيز، منذ أن استرجعنا صحراءنا ونحن نطالبك في كل يوم بالتضحيات، ونطالبك ببذل أغلى ما هو عندك، ألا وهو النفس والأرواح، وكان طلبنا هذا مشروعا كما تعتقد أنت بنفسك أنه طلب مشروع، لذا سرنا مسيرة واحدة وموحدة في طريق التضحيات وفي طريق البطولات.

ان الصحراء مغربية، ولا يمكن أن تكون إلا مغربية، ولا يمكن لأحد منا حالا أو استقبالا أن يعتقد أن بلده في أمن وأمان، وان الشعب المغربي في إطمئنان اذا ما انتزعت منه صحراؤه لتصبح منطلقاً للشغب، ومنطلقا للمتاهات.

واننا يوم دعوناك للمسيرة وبعدها للاستبسال وللاستمرار في الاستبسال كنا نعكس شيأين، أولا : حقنا في استرجاع أرضنا، ثانيا : واجبنا في أن نجعل بلدنا في مأمن أمين من كل مخاطرة يمكنها أن تأتي من الجنوب، فلهذا عليك — شعبي العزيز — أن تحفظ هذا في صدرك وان تلقنه أبناءك، وعلى خصومنا أن يعلموا ان المسألة بالنسبة لنا مسألة أمجاد وتاريخ وحقوق ومصير، وإنني لأنصحهم من صميم القلب أن يكفوا عما هم عليه، وأقول قولتي هذه وافريقيا على أبواب اجتماع مؤتمر القمة في طرابلس، وإنني لآمل أن يتم هذا الاجتماع، لأن افريقيا طالما اشتكت هذه الشهور الأخيرة من تفرقة صفوفنا ومن تجزئة منطقتنا وقارتنا، وإنني لآمل أن تجتمع هذه القمة وحواجز اللاقانونية وعدم المشروعية التي كانت تحول دون اجتماعها قد امحت، ورجعت المشروعية الى نصابها، والأمور الى مجراها.

فاذا ما زالت عوائق وحواجز اللامشروعية واللاقانونية فسنكون — نحن المغاربة — حاضرين مع اخواننا للتدارس في الشؤون الافريقية الأخرى، علماً منا مسبقاً بأن ملف الصحراء لم يبق بين أيدي القمة، بل أخذت القمة على نفسها ان تطبق ما وقع عليه الاتفاق بالاجماع في نيروبي.

وان أملنا لوطيد في أن نصل الى حل مشكلة الصحراء في أقرب وقت ممكن، وأن ترجع الطمأنينة لهذه الناحية من قارتنا، لماذا؟ لأسباب متعددة.

أولا : العالم على عتبة القرن الواحد والعشرين، العالم مناطة به واجبات والتزامات جديدة عليه أن يبر بها، وعلى افريقيا أن يكون لها حظ وافر من تلك المساهمة.

ثانيا : ان العالم العربي الذي أصبح شقيقاً وأخاً للعالم الافريقي هو أحوج ما يكون الى تضامن جميع القوى العربية المتساكنة والمتجاورة في هذه المنطقة حتى يمكن للعرب ان يقفوا صفاً واحداً اما في طريق السلم المشرفة، السلم العادلة، واما ان يقفوا موقف الأبطال صفاً واحداً للاستشهاد مرة أخرى جامعين ومكرسين جهودهم وقواهم لا للتطاحن فيما بينهم، بل لصد العدو الغاشم واسترجاع الحقوق.

لذا آمل شخصياً — وحينما أقول آمل لي اليقين انني ترجمان الشعب المغربي العربي المسلم الافريقي — ان تنتهي هذه الحالة، وان تنتهي هذه الوضعية حتى يمكن للمغرب وللجزائر ولموريتانيا، الذين هم في مجموعة المغرب العربي والمجموعة الافريقية، والمجموعة العربية، أن يضموا قواهم الى قوى إخوانهم الفلسطينيين المشردين، المغتصبة أرضهم لنسترجع مجدنا وحقوقنا.

وان نداءنا هذا لينطلق من صميم القلب، لأننا واثقون ومؤمنون كل الايمان بمشروعية قضيتنا، وان بابنا مفتوح وخطواتنا نحن من جهتنا مستعدة للقيام بكل تقارب ممكن، لأن ملفنا صحيح، ومن كان ملفه صحيحاً وقضيته عادلة فانه لا تواكبه المركبات أو العقد، فنحن مستعدون للتلاقي وللمذاكرة والمناقشة، وللترفع عن الحال للنظر الى المآل، ولتجاوز الحالات العاجلة، للبحث والبث في الحالات الآجلة، للأجيال المقبلة ولشعوب المنطقة، مكررين حسن ارادتنا ومكررين طهارة طويتنا ونيتنا. ومكررين كذلك من جهة أخرى اننا — ان اقتضى الحال — سنستمر في الحرب وسنستمر في الدفاع، فلقد قررنا كذلك كل ما يقتضيه الحال، لأن المسألة كما قلت أولا مسألة حقوق، وثانيا مسألة تاريخية، وثالثا مسألة حيوية ومصيرية بالنسبة لبلدنا ولشعبنا من جهة، وللتوازن في المنطقة من جهة أخرى.

فلنجعل من هذه الذكرى السابعة للمسيرة ذكرى الانفتاح، وذكرى النظر الى المستقبل، وذكرى البناء المشترك كما نجعل منها نحن المغاربة ركيزة من ركائز أمتنا وقاعدة من قواعد استمرارنا وإطمئنان شعبنا في القرون المقبلة.

فنحن لا نتهرب من أية مسؤولية، طلب منا الأفارقة بالحاح وأصدقاء لنا اعزاء من الشرق والغرب من العرب وغير العرب، أن نقبل مبدأ الاستفتاء رغم أننا كلنا كنا رفضناه، فنزولا عند رغبة الجميع، وحتى نجعلهم أمام مسؤولياتهم قبلنا في نيروبي مبدأ الاستفتاء وايقاف اطلاق النار. ومنذ ذلك اليوم ونحن ننتظر الضوء الأخضر للشروع في عملة ايقاف النار، ثم بعد ذلك للشروع في عملية الاستفتاء، فان كان هناك تأخر أو تأخير أو تماطل فلا يمكن بأي حال من الأحوال أن ينسب إلينا، وأريد أن أقول هذا ونحن على أبواب المؤتمر الافريقي للقمة، لا يمكن بحال من الأحوال أن ينسب إلينا تأخر أو تماطل، إذ نحن في هذا الباب في انتظار أن تقول اللجنة المنبثقة عن نيروبي غدا سيبدأ ايقاف اطلاق النار، وبعد ذلك هاهو تاريخ الاستفتاء الذي سيجري في الظروف وبالشروط المتفق عليها، ونحن في انتظار الضوء الأخضر من اللجنة المختصة المنبثقة عن نيروبي، وأكرر اذا كان هناك تأخر أو تماطل فلا يمكن ان يلصق بنا أو يلحق بمسؤولياتنا أو سوء ارادتنا.

نعم، يمكن للمتسائل ان يتساءل ماذا سيكون حال أولئك الذين قالوا لا، وهم أقلية الأقليات، أو ماذا ستكون حالة الذين حاربوا وهم مغاربة، حاربوا اخوانهم المغاربة؟ سأقول لهم ان الحسن الثاني ملك المغرب وخادمه ابن محمد الخامس طيب الله ثراه، تربى في مدرسة أبيه، وأبوه تربى في مدرسة النبي صلى الله عليه وسلم جده المطهر، وما هي مدرسة النبي صلى الله عليه وسلم بالنسبة للأقارب؟

يروي التاريخ والسير انه بعد فتح مكة لجأ المنافقون والكافرون الى الكعبة وستارها وتشبثوا بها، وجاءهم النبي صلى الله عليه وسلم وقال لهم : يامعشر قريش — اسرته وقبيلته — ما تظنون انني فاعل بكم؟ فقالوا خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم، فقال صلى الله عليه وسلم : اذهبوا فأنتم الطلقاء.

ولا يمكن لحفيد الرسول صلى الله عليه وسلم تتلمذ لأبيه حفيد الرسول صلى الله عليه وسلم الا ان يسير على نهج جده ورسوله الكريم.

فسأقول لهم : سأعمل معكم عمل اخ كريم وابن اخ كريم، أنتم الطلقاء، لأن البلاد وكل البلاد وكل بلد يحترم نفسه ويتطلع الى المستقبل ليَرى بل يشرئب ويمد عنقه ليرى المستقبل من الآفاق العليا لا يمكنه أن يبني مستقبله على الانقاض أو على الأحقاد أو الضغائن، لذا لا نؤاخذ أحداً حتى المعنيين بالأمر، ولا نؤاخذ كذلك المدفوعين إلى ما فعلوه، وإلى ما عملوه، ولا كذلك الدول الافريقية التي اعترفت بهم، أو تعاونت معهم، أو تعاملت معهم، ليطمئن الجميع، المغرب له من التراث التاريخي ومن معالم التاريخ وراء ظهره ومن معاجم التاريخ ما يجعله قادرا على أن يفك كل معضلة ويجد الحل لكل مشكلة، فليطمئن هؤلاء وأولئك على أصالة المغرب وحسن أخلاقه.

شعبي العزيز

كنت أرى من الضروري ونحن على أبواب الملتقى الافريقي ان اركز حديثي هذا وخطابي لك على المناخ الافريقي ان أضع كل دولة كانت، أو مجموعة من الدول أمام مسؤولياتها، وعلى رأسهم المغرب، المغرب له مسؤولية افريقية، فاذا تمت شروط الصحة فسيرى المغرب من الواجب عليه ان يحضر المؤتمر، وهذا من مسؤوليته، انه لا يتهرب منها، فسنحضر المؤتمر وسنتدارس المشاكل والحلول علماً بأن ملف الصحراء المغربية — عن اختيار وارادة منها وطواعية — هي التي سلمته من نفسها لمجموعة من الدول الافريقية لتنظر فيه.

المغرب له الالتزام التالي : اذا تقرر إيقاف إطلاق النار قرر وطبق إيقاف إطلاق النار.

والالتزام الثاني ولو كنا في غير حاجة الى الاستفتاء لاظهار مغربية الصحراء فنحن مستعدون براً بوعدنا للقيام بهذا الاستفتاء، اذن المغرب التزم وسيحترم التزامه، وهو مسؤول وسيقوم بمسؤوليته، ولكن بقي على الأطراف الأخرى في افريقيا ان تبر بالتزاماتها من جهة، وان تعرف مسؤولياتها وتمارسها بكيفية مسؤولة لا تراجع فيها.

لماذا اريد وألح على أن يجد هذا المشكل حله في أقرب وقت ممكن.

أولا : تلافياً لما يمكن أن يقع من تصاعد لا قدر الله.

ثانيا : لايقاف إراقة الدماء الشقيقة والجارة.

ثالثا : لأن المغرب فيما هو مطوق به، مع أشقائه وإخوانه العرب والذين منهم عدة دول افريقية، مطالب بأن يجدَ طريقا للسلام لحرب ضروس دامت أربعين عاماً.

نعم الدولُ العربيةُ ليس بيدها خاتمُ سليمان، ولا تحلم ولا تظن انها ستُنهي في شهر أو شهرين حالة حرب استمرت أربعين سنةً، ولكن على الدول العربية ومن جملتها المغرب، والدول العربية الافريقية ومن جملتها

موريتانيا والجزائر وتونس وليبيا ومصر والصومال وجيبوتي والسودان، على هذه الأخيرة ان تتحد لتعين الدول العربية في القارة الآسيوية للقيام بهذا الدور، الدور التمهيدي ثم دور الشجاعة الحقيقية، الا وهو الاقبال على مرحلة السلم بالعدل والكرامة والشرف.

فاذا نحن اسكتنا جميع الضغائن الموجودة بيننا، واقبرنا المشاكل المزيفة الموجودة بين الدول الافريقية العربية فسنكون حقاً في مستوى استقلالنا وممارسة سيادتنا ورشدنا الدولي، وممارسة حقنا وواجبنا في البحث عن طريق السلم النافعة للعرب أولا وللأسرة العالمية في الدرجة الثانية.

شعبي العزيز

هذه هي الأفكار التي كنت أريد أن أناقشها معك أو أن أضعها في خاطرك حتى تناقشها أنت مع نفسك، وأنا في هذا العرض منطقي مع نفسي، لأن خطابي الأخير في البرلمان كان الديمقراطية والسياسة الخارجية، ولا يمكن لي أن أخطط في الداخل وفي السياسة الداخلية واستشير اما مباشرة بواسطة الاستفتاء، واما بكيفية غير مباشرة بمناقشة الحكومة مع البرلمان ومن يمثلك، وان أخفي عليك الجانب المهم من السياسة الخارجية.

وهذا التشاور وهذا الحوار في الميدان الخارجي هو الذي يجعلني أطمئن لثقة شعبي، بل أكثر من الثقة لطلبك ولا مداداك في كل خطوة خطوتها أو عمل قمت به في ميدان السيادة الخارجية أو السياسية، علما منك ان تلك الخطوة لا تستهدف إلا عزتك ورفعة شأنك.

والله سبحانه وتعالى أسأل أن لا تذهبَ هذه الأفكارُ ادراجَ الرياح، سواء بالنسبة اليك — شعبي العزيز — أو بالنسبة لغير المغاربة الذين يهمهم أمر صحرائنا أولا، ويهمهم وجوب تكاتفنا وتعاضدنا للسير قدماً الى ما هو منتظر منا كأفارقة وكعرب.

وبما أننا سمينا مسيرتنا المسيرة الخضراء أريد — شعبي العزيز — فعلا أن تكون هذه الذكرى تحت شعار الاخصرار، لأن الله سبحانه وتعالى قد استجاب الى دعاء عبيده في السنة الماضية حينما استسقوه فأنزل غيثه وأغاث عباده وبهيمته، وأنزل علينا من الأمطار ما سد حاجياتنا، وها هو سبحانه وتعالى يتكرم علينا مرة أخرى ويظهر عطفه علينا وحدبه فيعطينا أمطاراً في هذا الابان، ولا أظن أن هذه الأمطار وهذه الخيرات الا مكافأة منه سبحانه وتعالى على ما قمنا به من عمل تعاضدي، ومن عمل جماعي واجتماعي، الا وهو عملية التويزة، فبمجرد ما قمنا بها في السنة الماضية نزلت الأمطار غير المنتظرة والحمد لله.

واليوم، ونحن نحتفل بيوم وذكرى المسيرة الخضراء، أدعوك — شعبي العزيز الى القيام مرة أخرى بالتويزة مثل السنة الماضية، حتى تكون مسيرتنا خضراء وتكون الأرض التي نعيش عليها ونمشي عليها خضراء، فليقم كل واحد منا بواجبه تجاه جاره الفلاح، وليأخذ القوي والغني منا بيد الفقير والضعيف من الفلاحين، ولنقم على بركة الله وعونه بعملية التويزة هذه السنة كذلك تعاضداً وتعاونا مغربيا واسلاميا، علماً منا ان الله لا يضيع أجرَ مَن أحسن عملا، وان الله سبحانه وتعالى يأخذ بيد الناس مادام الناس يأخذون بيد اخوانهم.

لا أريد شعبي العزيز، أن أختم هذه الكلمة، وأنت تعلم ما يواكبني في مثل هذه المناسبة من التأثر، أولا : بالنسبة للحدث لأنه حدثي، ثانيا : بالنسبة لنعم الله سبحانه وتعالى عليَّ، لأن فكرة المسيرة كان في الامكان ان يلهمها الله سبحانه وتعالى عبداً آخر من عبيده، فأراد أن يخصني بها، ولم أنس من نعمه وآلائه بالأخص التي كان نهاية مطافها ان استرجعنا حقنا وصحراءنا.

فلا يمكنني أن أختم هذه الكلمة وأنا في جو التأثر والشكر و الحمد لله سبحانه وتعالى دون أن يرجع بي وبنا جميعا، إلى الترحم والاجلال والاكبار على أرواح شهدائنا الذين ماتوا واستبسلوا في صحرائنا من جميع قواتنا المسلحة الملكية والدرك والشرطة والقوات الاحتياطية، أو حتى المدنيين الذين ذهبوا ضحية هذه الحرب الشعواء المظلمة الظالمة.

فالله نسأل أن يسكنهم جناته وأن يجلسهم مع من اختارهم من صفوة عباده.

ولنختم بهذه الآية من القرآن، لأن الله سبحانه وتعالى أراد أن يستخلفنا في الأرض فأعطانا المغرب المستقل، ثم وطد لنا الطريق الى المغرب الموحد، فلنقل «وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنَّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم، وليمكنَّنَّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وليبدلنهم من بعد خوفهم امناً»، ذلك ما نتوق اليه، وذلك ما نرمي اليه، معنى الخوف هو معنى الحرب، لأن الأمن ليس هو الاطمئنان، والخوف معناه هنا الحرب، عندما نقول صلاة الخوف ليست هي صلاة الخوف خوفاً من العدو، لا، بل هي صلاة حالة الطوارىء أو صلاة الحرب، وهنا يُفسر الخوف بالحرب، لأن مقابل الأمن ليس هو الاطمئنان، ولا يقابل الأمن الا الحرب أو عدم الأمن.

فلنكرر الآية مرة أخرى «وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم، وليمكننَّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وليبدلنَّهم من بعد خوفهم امناً».

صدق الله العظيم.

والسلام عليكم ورحمة الله.

السبت 19 محرم 1403 — 6 نونبر 1982